

جمعها الفقير إلى الله تعالى

عبد الله بن جار الله الجار الله

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجهم في العلم والعمل والدعوة إلى الله إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الإنسان لن يعيش وحده ولابد له من أصدقاء فإن وفق لمصادقة الأخيار ومجالستهم وإلا ابتلي بمصادقة الأشرار والجلوس معهم؛ فعليك -أخي المسلم- بمصادفة الأخيار، المطيعين لله وزيارتهم لله، والجلوس معهم ومحبتهم لله والبعد عن الأشرار (العصاه لله) فالمرء معتبر بقرينه وسوف يكون على دين خليله فلينظر من يخالل.

فكما يقلد الإنسان من حوله في أزيائهم يقلدهم في أعمالهم ويتخلق بأخلاقهم، قال حكيم: نبئني عن من تصاحب أنبؤك من أنت، وقال النبي ﷺ: «**قال الله تبارك وتعالى: "وجبت محبتي للمتحابين فيَّ والمتجالسين فيَّ والمتزاورين فيَّ والمتباذلين فيَّ**» حديث صحيح رواه مالك في الموطأ بإسناد صحيح. فهنيئاً لمن هذا وصفه.

وقال الله عز وجل: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ**

﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناداه مناد طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً**» رواه الترمذي، وقال حديث حسن. وقال ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمناً**» رواه أبو داود والترمذي بإسناد لا بأس به، وقال عليه الصلاة والسلام: «**الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**» رواه أبو دواد والترمذي بإسناد صحيح. وقال: «**المرء مع من أحب**» متفق عليه. وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**» رواه مسلم. ولما كان الحب في الله والبغض في الله بهذه المنزلة العالية وكان للجليس أثر على جليسه في الخير والشر.

طلب مني بعض الأخوة الأفاضل تأليف رسالة في هذا الموضوع فأجبته إلى ذلك، وهي مستفادة من كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، وكلام المحققين من أهل العلم. أسأل الله تعالى أن ينفع بها من كتبها أو طبعها أو قرأها أو سمعها فعمل بها، وأن يوفقنا وإخواننا المسلمين للجلساء الصالحين الناصحين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الجليس الصالح وكيف نختاره

جليسك الصالح يشعر بشعورك، ويعتني بشؤنك ويهتم بأمورك يفرح بفرحك ويحزن لحزنك، ويسر بسرورك، يحب لك ما يحب لنفسه ويكره لك ما يكره لنفسه وينصح لك في مشهدك ومغيبك، يأمرك بالخير وينهاك عن الشر ويسمعك العلم النافع والقول الصادق والحكمة البالغة ويحثك على العمل الصالح المثمرويُذَكِّرك نعم الله عليك لكي تشكره ويُعَرفك عيوب نفسك لكي تجتنبها ويشغلك عما لا يعنيك. وهكذا أستاذك الصالح يجهد نفسه في تعليمك تفهيمك وإصلاحك وتقويمك يطالبك بالعمل وينتظر من ظاهرك ثمرة ما يغرس في باطنك إذا غفلت ذكَّرك، وإذا أهملت أو مللت بشَّرك وأنذرك، وليس في الجلساءِ من ينفعك خيره ويضرك شره كالأستاذ الذي يُعَدُّ لك أباً ثانياً، وكما يكون هو تكون أنت، والجليس الصالح يسد خلتك ويغفر زلتك ويقيل عثرتك، ويستر عورتك، وإذا اتجهت إلى الخير حثك عليه ورغبك فيه وبشرك بعاقبة المتقين وأجر العاملين وقام فيه معك وكان لك عوناً عليه، وإذا تكلمت بسوء أو فعلت قبيحاً زجرك عنه ومنعك منه وحال بينك وبين ما تريد. جليسك الصالح لا يمل قربك ولا ينساك على البعد، وإن حصل لك خير هنأك وإن أصابتك مصيبة عزاك، يسرك إذا حضرت بحديثه ويرضيك بأفعاله ويحضر بك مجالس العلم وحلق الذكر وبيوت العبادة ويزين لك الطاعة بالصلاة والصيام والإنفاق في سبيل الله وكف الأذى واحتمال المشقة

وحسن الجوار وجميل المعاشرةويقبح لك المعصية ويُذَكِّرك ما يعود به الفساد عليك من الويل والشقاء في عاجل الأمر وآجله. ومازال ينفعك ويرفعك ويزجرك ويردعك حتى يكون كبائع المسك وأنت المشتري ولصلاحه ونصحه لا يبيع عليك إلا طيبًا ولا يعطيك إلا جيداً، وإن أبيت الشراء طيبك وصب عليك العطر فلا تمر بشارع ولا تسلك طريقاً إلا وعبق منك الطيب وملأت به الأنوف؛ وأولئك هم القوم لا يشقى بهم جليسهم تنزل عليهم الرحمة فيشاركهم فيها ويهمُ بالسوء فلا يقوله ولا يستطيع فعله إما مخافة من الله وإما حياء من الناس.

فالخير الذي تصيبه من جليسك الصالح أبلغ وأفضل من المسك الأذفر فإنه إما أن يعلمك ما ينفعك في دينك ودنياك أو يهدي لك نصيحة أو يحذرك من الإقامة على ما يضرك؛ فيحثك على طاعة الله وبر الوالدين وصلة الأرحام ويدعوك إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها بقوله وفعله وحاله؛ فإن الإنسان مجبول على الإقتداء بصاحبه وجليسه والطباع والأرواح جنود مجندة يقود بعضها بعضاً إلى الخير أو إلى ضده وفي الحديث: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**» رواه أبو داود والترمذي وحسنه. وفي الحكمة المشهورة: لا تسأل عن المرء واسأل عن قرينه.

وأقل ما تستفيده من الجليس الصالح أن تنكفَّ بسببه عن السيئات والمعاصي رعاية للصحبة ومنافسة في الخير وترفعًا عن الشر، وفوائد الأصحاب الصالحين لا تعد ولا تحصى وحسب المرء

أن يعتبر بقرينه وأن يكون على دين خليله.

وأما قرين السوء فهو ضد ذلك كله، فإنك إن لم تشاركه في إساءته أخذت بنصيب وافر من الرضى بما يصنع والسكوت على شر تخاف منه وتحذره وتحتاط لحفظ كرامتك من أن يمزقها أو أن يسمعك عن نفسك أو عن الآخرين ما لا تحب؛ فهو كنافخ الكير وأنت جليسه القريب منه يحرق بدنك وثيابك ويملأ أنفك بالروائح الكريهة وأنت وإياه في الإثم سواء ومن أعان على معصية ولو بشطر كلمة فهو كالفاعل وكل كلام لا يحل فهو من اللغو الذي مدح الله تاركيه بقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ**﴾ [القصص: ٥٥]. وقد يكون جليس السوء قوياً لا تستطيع مقاومته ولا الإنكار عليه فخير لك الابتعاد عنه لئلا تقع في معصيتين السكوت على الباطل موافقة أهله، وفي مجالس الشر تقع الغيبة والنميمة والكذب واللعن وكل كلام فاحش ويقع اللهو والطرب وممالات الفسَّاق ومجاراتهم على الإسراف في الإنفاق والخوض في الباطل، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنعام: ٦٨]، وإن أعظم مَثَل يصور لنا خطر جليس السوء ما حصل لأبي طالب عم النبي ﷺ عند وفاته، فقد جاء إليه النبي ﷺ حين احتضاره وهو يلفظ آخر أنفاسه فقال له رغبة في إسلامه: «**يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج بها عند الله**» فقال له أبو جهل، وكان جالساً

عنده: أترغب عن ملة عبد المطلب، فرسول الله ﷺ يلقنه الإسلام وأبو جهل يلقنه الكفر إلى أن مات وهو يقول هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول: لا إله إلا الله [١] بسبب جليس السوء؛ فمصاحبة الأشرار ومجالستهم مضرة من جميع الوجوه على من صاحبهم وشر على من خالطهم، فكم هلك بسببهم أقوام وكم قادوا أصحابهم في المهالك، وقد قال الله تعالى مخبراً عن عاقبة الظالمين وتمنيهم سلوك طريق المؤمنين وندمهم على مصاحبة الضالين المضلين: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً**﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩] وقال النبي ﷺ: «**لا تصحب إلا مؤمناً**» [٢] ويقول الشاعر:

واختر من الأصحاب كل مرشد ... إن القرين بالقرين يقتدى

وصحبة الأشرار داء وعمى ... تزيد في القلب السقيم السقما

فإن تبعت سنة النبي ... فاجتنبن قرناء السوء

وقال ﷺ: «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما يحرق ثيابك وإما**

---

(1) الحديث في قصة وفاة أبي طالب مخرج في الصحيحين.

(2) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم ورمز السيوطي

أن تجد منه ريحاً خبيثة» رواه البخاري ومسلم. وصدق رسول الله ﷺ فما أروعه من مثل يصور لنا حقيقة الجليس وما ينتج عنه من نفع أو ضر وخير أو شر وطيب أو خبث، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [المائدة: ١٠٠].

اللهم وفقنا للجلساء الصالحين والأصدقاء الناصحين وزينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين، آمين يارب العالمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه [1].

---

(1) انظر: إصلاح المجتمع للبيحاني ص٣٦٢-٣٦٥، وبهجة قلوب الأبرار لابن سعدي ص١٧٧-١٧٩، وأحاديث الجمعة للشيخ عبدالله بن قعود ص٩٣-٩٦.

معاشرة الأخيار

مما يجمِّل ويُحَسِّن خُلُق الإنسان من حوله صحبة الأخيار، فالإنسان مولع بالتقليد؛ فكما يقلد الإنسان من حوله في أزيائهم يقلدهم في أعمالهم ويتخلق بأخلاقهم، قال حكيم: "نبئني عمن تصاحب أنبؤك من أنت".

أن مصاحبة الأخيار تغرس في النفس الأخلاق الكريمة وتدفعها إلى معالي الأمور، أما مصاحبة الأشرار فأنها تقود إلى الاستهانة بالأخلاق، وتجرئ على اقتراف الآثام، وتباعد بين الإنسان وبين القيام بالأعمال العظيمة.

فالقرين الصالح يعتبر بحق من أفضل نعم هذه الحياة؛ فهو الملاذ في الملمات، وهو المرشد الأمين لطريق الحق والنجاح في هذه الحياة، فكثير من النابغين والعظماء والمتفوقين في هذه الحياة يعزون سبب نجاحهم إلى أنهم وفقوا في اختيار قرين صالح ساروا على إرشاده واقتبسوا من نصحه.

والقرآن الكريم دعا إلى اختيار الأصحاب الصالحين. قال تعالى: **﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾** [الكهف: ٢٨][(١)].

---

(1) فرطاً: متجاوزاً الحدود المشروعة.

أمر الله سبحانه رسوله، وكل مؤمن في هذه الآية، بمصاحبة الأخيار الذين ساروا على الهدى ليقتدي بهم ويقتبس من فضائلهم، ولا يزهد في صحبتهم فيتطلع إلى من عداهم لأجل الحصول على مظاهر الحياة الكاذبة، ثم نهى الله المؤمن عن مصاحبة الأشرار الغافلين عن ذكر الله الذين اتبعوا أهواءهم وجاوزا حدود الحق في أعمالهم.

ويقول تعالى أيضاً في هذا المعنى: **﴿فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾** [النجم: ٢٩].

ويبين الله في آية أخرى أنه ليس من شأن المؤمن أن يتودد إلى من يُغْضبُ ربه بالمعاصي ولو كان أقرب الناس إليه: **﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾** [المجادلة: ٢٢](1).

وصور لنا رسول الله ﷺ الجليس الصالح والجليس السيئ خير تصوير في قوله: « **مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير** (2) **فحامل المسك إما أن يحذيك** (3) **وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة** » رواه مسلم.

(1) حاده: عاداه وغاضبه.
(2) الكير: منفخ الحداد الذي يشعل النار وينفث الدخان.
(3) يحذيك: يعطيك.

هذه هي تعاليم الإسلام في اختيار القرين الصالح ليقودنا دائماً نحو الخير ويجنبنا مواطن الضلاله [١].

* * *

(1) روح الدين الإسلامي ص٢١٦.

الرفقة الصالحة

يقول الله تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾ [الكهف: ٢٨].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكي إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا منتنة**» [١]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»[٢]. والإنسان لا يمكن أن يعيش بمفرده إذ لا بد من صديق وولي وخليل ومداره مع خليله صلاحاً وفساداً. لكن المسلم يتميز بصحبة الأخيار دون غيرهم؛ خوفاً على نفسه من الفساد، وتقرباً إلى الله في حبهم وهم بعد الله من أكبر العون له على الثبات.

واحرص – وفقك الله – على موافقة أهل العلم والتقى وأكرمهم، وأحسن معاشرتهم، وأعف عن هفواتهم، وأطلق وجهك

(1) البخاري(٥٦٩/٩) ومسلم (٢٦٢٨) وأحمد (٤٠٤/٤)
(2) أبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٩) وأخرجه أحمد (٣٠٣/٢) والحاكم (١٧١/٤)

لهم، وشاركهم السراء والضراء، ولا تمن عليهم، واستر عوراتهم، وأظهر مناقبهم، وأقل أعذارهم، وأقض حوائجهم، ورد جوابهم، وتفقد ضعيفهم، واعرف أقدار الرجال؛ فقد قيل: إن فتى جاء إلى سفيان بن عيينة من خلفه فجذبه، وقال: يا سفيان حدثني، فالتفت إليه سفيان. وقال: يا بني من جهل أقدار الرجال فهو لنفسه أجهل[1].

نسأل الله القبول، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

(1) مقومات الثبات على الهداية ص٩٩.

اختيار الأصدقاء[1]

الناسُ في هذه الحياة متفاوتو الخلاق، متباينو المشارب؛ فمنهم من ساءت أخلاقهم فنزعت نفوسهم إلى الشهوات، ومالوا إلى اللذات، فما عرفوا غير إشباع نهمتهم [2]، وما راعو غير العمل لأهوائهم، فهؤلاء لا خير يرجى منهم، ولا منفعة تعود على المجتمع الإنساني من ورائهم؛ فالإبتعاد عنهم راحة وعدمُ الارتباط بهم وقاية.

ومنهم من حَسُنتْ طباعهُ فقمع نفسه عن لذاتها، وردَعها عن شهواتها، وعمل للمنفعة العامة، وسار في طريق الإصلاح، وهذا هو الجديرُ بالألفة، والخليقُ بالتودد، فالخير معقودٌ بمصاحبتة، والسعادةُ مقرونة بمصادقته؛ لأن نفسه الطاهره تطمح على الدوام إلى الكمال، وقلبَهُ الثابت مشرئب لنيل معالي الأمور، والمرء على دين خليله.

قال الله تعالى: **﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾** [النساء: ٦٩].

وقال في معرض التحذير من قرناء السوء مبيناً ندامة من لم يحتط لنفسه في اختيار من يصادق: **﴿يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً﴾** [الفرقان: ٢٨].

وقال تعالى: **﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾** [هود: ١١٣].

---

(1) فتح الخلاق بمكارم الأخلاق ص١٢٣.

(2) النهم: إفراط الشهوة في الطعام.

وقال رسول الله ﷺ: «**عليكم بإخوان الصدق، فإنهم زينةٌ في الرخاء، وعصمة في البلاء**».

وقال عليه الصلاة والسلام: «**المرء كثير بإخوانه ولا خير في صحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له**» [١].

وقال ﷺ: «**الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**» [٢].

وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**إنما الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك، ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة** » [٣].

وقال علي رضي الله عنه: خيرُ إخوانك من واساك، وخيرٌ منه من كافاك.

وقال عبدالله بن جعفر: عليك بصحبة من إذا صحبته زانك، وإن غبتَ عنه صانك، وإن احتجت إليه مانك [٤]، وإن رأى منك خلة[٥] سدها [٦] أو حسنة عدَّها.

---

(1) رواه ابن أبي الدنيا عن سهل بن سعد، ولفظه "المرء كثير بأخيه". ورمز السيوطي لضعفه.
(2) رواه أبو داود والترمذي وحسنه وصححه النووي.
(3) رواه البخاري ومسلم.
(4) قام بكفايتك.
(5) غيبة وثلمة.
(6) أصلحها

وقال لقمان لابنه: يا بني لا تجالس الفجار ولا تماشيهم، اتق أن يترل عليهم عذابٌ من السماء فيصيبك معهم، وجالس الفضلاء والعلماء فإن الله تعالى يحيي القلوب الميتة بالفضيلة كما يحيي الأرض بوابل (١) المطر.

وأوصى أمير المؤمنين أولاده قال: يابنيَّ عاشروا الناس عشرةً إن غبتم حنوا إليكم، إن فُقدْتم بَكَوْا عليكم، إن القلوب جنودٌ مجنَّدة تتلاحظ بالمودة، وتتناجى (٢) بها وكذلك هي في البغض، فإن احببتم الرجل من غير خير سبق منه إليكم فارجوه، وإذا أبغضتم الرجل من غير سوء سبق منه إليكم فاحذروه.

وقيل لابن السَّماك: أيُّ الإخوان أحقُّ ببقاء المودة؟ قال: الوافر دينُه، الوافي عقله الذي لا يملك على القرب، ولا ينساك على البعد، إن دنوتَ منه داناك، وإن بعدتَ عنه راعاك، وإن استعنت به عضَدَكَ، وإن احتجت إليه رفدك (٣) وتكونُ مودةُ فعله أكثر من مودة قوله.

وقال بعض الحكماء: احذر من الكريم إذا أهنته، واللئيم إذا أكرمته، والعاقل إذا أحرجته والأحمق إذا مازحته، والفاجر إذا عاشرته. وقال آخر: الصديق النصوح من بصرَّك مواضع رشدك وعواقب غيّك.

(1) شديد.
(2) تتسار
(3) أعطاك وأعانك.

وقال غيره: شرُّ الإخوان الواصلُ في الرخاء، الهاجرُ عند الشدة.

وقال بعض البلغاء: من خير الاختيار صحبةُ الأخيار، ومن شر الإختيار مودةُ الأشرار.

وقال آخر: اصحب من الإخوان من أولاك جمائل كثيرة فكافأته بجميلة واحدة فنسي جمائله، وبقي شاكراً لجميلتك يوليك عليها الإحسان الجميل، ويجعل أنه ما بلغ من مكافأتك القليل.

وقال غيره: الصديق من استروحتْ إليه النفس، واطمأن إليه القلب.

وقال أوس بن حجر:

وليس أخوك الدائم العهد الـذي يذمك إن ولَّى ويُرضيك مقبلاً
ولكن أخوك النائي ما دمت آمناً وصاحبك الأدنى إذا الأمر أعضلا

وقال أبو تمام:

مـن لي بإنسان إذا أغضبتُه وجهلتُ كان الحلمُ رَدَّ جوابه
وإذا صبوت [٢] إلى المدام شربت أخلاقه وسكرتُ من آدابه
وتراه يُصغى للحديث بطرفه وبقلبه ولعلَّه أدرى به

وقال الأحنف بن قيس:

أخوك الـذي إن تَدْعُهُ لملمةٍ يجيبك وإن تغضب الي السيف

---

(1) اشتد واستغلق.
(2) صبا إليه: حن.

وقال الشاعر:

إن أخاك الصدق من يسعى معــك   ومــن يــضر نفــسَه لينفعــك
ومن إذا ريب الزمــان صــدعك   شتَّتَ فيــك شملــه ليجمعــك

وقال آخر:

ليس الصديق الذي إن زل صــاحبه   يوماً رأى الذنب منه غير مغفور
وإن أضــاع لــه حقــاً فعاتبــه   فيــه أتــاه بتزويــق المعــاذير
إن الصديق الذي تلقــاه يعــذر في   ما ليس صاحبه فيــه بمعــذور

وقال غيره:

إن كنـــت متخـــذاً خلـــيلاً   فتَنـــقَّ وانتقـــد الخلـــيلا
مـــن لم يكـــن لـــك منـــصفاً   في الـــود فـــابغ بـــه بَـــديلا
ولقلما تلقى اللئيم عليك إلا مــستطيلا

وقال غيره:

واحـــذر مؤاخـــاة الـــدنيّ لأنـــه   يُعدي كما يعــدي الــصحيح
واختر صديقك واصطفيه تفــاخراً   إن القرينَ إلى المقــارن يُنْــسَبُ
ودع الكذوب فلا يكن لك صاحباً   إن الكذوبَ لبئس خِلا يُصحبُ

في التحذير من مخالطة الأشرار [1]

الحمد لله الذي أمر بمصاحبة الأخيار ونهى عن مصاحبة الأشرار. فقال: **﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾** [الكهف: ٢٨]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بيّن لعباده طرق الخير ليسلكوها، وبيّن لهم طرق الشر ليجتنبوها. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رغب في إختيار الجليس الصالح وحذر من جليس السوء، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه وتمسك بسنته إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

عباد الله اتقوا الله واعلموا أن الإنسان في هذه الحياة لا يستطيع أن يعيش وحده في عزلة تامة عن الناس فهو في بحاجة إلى مخالتطهم ومجالستهم. وهذا الاختلاط لابد أن تكون له آثار حسنة أو قبيحة- حسب نوعية الجلساء والخلطاء. ومن هنا تضافرت نصوص الكتاب والسنة على الحث على اختيار الجليس الصالح والإبتعاد عن الجليس السيئ قال تعالى: **﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾** [الكهف: ٢٨]

---

(1) الخطب المنبرية في المناسبات العصرية، للدكتور صالح الفوزان ١/١٤٠.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وقال ﷺ: «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك، ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة** ». متفق عليه.

أيها المسلم: اجعل هذا الحديث الشريف دائماً على بالك وأنت تخالط الناس في الأسواق والمجالس، وفي البيوت والمدارس، وفي المكاتب والدوائر، وفي كل مجال تخالط فيه الناس فاختر لصحبتك ومجالستك ومشاركتك في مزاولة أي عمل، اختر الصالحين من الناس ليكونوا لك جلساء وزملاء وشركاء وحاشية ومستشارين، فهذا الحديث الشريف يفيد أن الجليس الصالح جميع أحوال صديقه معه خير وبركة ونفع ومغنم. مثل حامل المسك الذي تنتفع بما معه إما بهبة أو ببيع أو أقل شيء تكون مدة جلوسك معه قرير العين منشرح الصدر برائحة المسك، جليسك الصالح يأمرك بالخير وينهاك عن الشر ويسمعك العلم النافع والقول الصادق والحكمة البالغة. ويعرفك عيوب نفسك ويشغلك عما لا يعنيك، ويجهد نفسه في تعليمك وتفهيمك، وإصلاحك وتقويمك، إذا غفلت ذكرك، وإذا أهملت أو مللت بشرك وأنذرك. يحمي عرضك في مغيبك وحضرتك. أولئك القوم لا يشقى بهم جليسهم،

تنزل عليهم الرحمة فتشاركهم فيها؛ وأقل ما تستفيده من الجليس الصالح — وهي فائدة لا يستهان بها — أن تنكف بسببه عن السيئات والمعاصي رعاية للصحبة ومنافسة في الخير وترفعاً عن الشر وفوائد الأصحاب الصالحين لا تعد ولا تحصى وحسب المرء أن يعتبر بقرينه، وأن يكون على دين خليله.

وصحبة الصالحين ينتفع بها حتي البهائم، كما حصل للكلب الذى كان مع أصحاب الكهف فقد شملته بركتهم فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال العجيبة، وصار له ذكر وخبر وشأن. أما صحبة الأشرار فإنها السم الناقع، والبلاء الواقع، فهم يشجعون على فعل المعاصي والمنكرات ويرغبون فيها ويفتحون لمن جالسهم وخالطهم أبواب الشرور، ويسهلون له سبل المعاصي. فقرين السوء إن لم تشاركه في اساءته أخذت بنصيب وافر من الرضا بما يصنع، والسكوت على شره، فهو كنافخ الكير على الفحم الملوث، وأنت جليسه القريب منه يحرق بدنك وثيابك ويملأ أنفك بالروائح الكريهه، وفي مجالس الشر تقع الغيبة والنميمة والكذب والشتم والكلام الفاحش ويقع اللهو واللعب وممالأة الفساق على الخوض في الباطل فهي ضارة من جميع الوجوه لمن صاحبهم، وشر على من خالطهم، فكم هلك بسببهم أقوام، وكم قادوا أصحابهم إلى المهالك من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون.

وإليكم: واقعين ومأساتين حصلتا بسبب صحبة الأشرار:

الواقعة الأولى: ورد أن عقبة بن أبي معيط كان يجلس مع النبي ﷺ بمكة ولا يؤذيه، وكان بقية قريش إذا جلسوا معه يؤذونه عليه الصلاة والسلام، وكان لابن أبي معيط خليل كافر غائب في الشام فظنت قريش أن ابن أبي معيط قد أسلم فلما قدم خليله من الشام وبلغه ذلك غضب عليه غضباً شديداً وأبى أن يكلمه حتي يؤذي النبي ﷺ فنفذ ما طلب منه خليله الكافر وآذي النبي ﷺ، فكانت عاقبته أن قتل يوم بدر كافراً. وأنزل الله فيه قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً**﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩]. وهي عامة في كل من صاحب الظلمة فأضلوه عن سبيل الله، فإنه سيندم يوم يوم القيامة على مصاحبتهم وعلى الإعراض عن طريق الهدى الذى جاء به الرسول ﷺ.

الواقعة الثانية: روى البخاري ومسلم عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبدالله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: «**يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله**» فقال له: أترغب عن ملة عبدالمطلب، فأعاد عليه النبي ﷺ فاعادا، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبدالمطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله، فقال النبي ﷺ: «**لأستغفرن لك ما لم أنه عنك**»، فأنزل الله عز وجل: ﴿**مَا كَانَ**

للنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى﴾ [التوبة: ١١٣]. وأنزل الله في أبي طالب: **﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾** [القصص: ٥٦]ففي هذه الواقعة التحذير الشديد من مصاحبة الأشرار وجلساء السوء وفي يوم القيامة يقول القرين لقرينه من هذا الصنف: **﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾** [الزخرف: ٣٨] ألا فانتبهوا يا عباد الله لأنفسكم وجالسوا أهل البر والتقوى وخالطوا أهل الصلاح والاستقامة. وابتعدوا وابعدوا أولادكم عن مخالطة الأشرار ومصاحبة الفجار، خصوصاً في هذا الزمن الذي قل فيه الصالحون وتلاطمت فيه أمواج الفتن، فإن الخطر عظيم. والمتمسك بدينه غريب بين الناس، وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ بقوله: «**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء**» قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس» أخرجه مسلم، وأبوبكر الآجري وفي رواية: «**يصلحون ما أفسد الناس**» وفي رواية «**هم النزاع من القبائل**». فتنبهوا لذلك وفقكم الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: **﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * الأَخِلاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إلا الْمُتَّقِينَ * يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ * ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ**

ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: ٦٦-٧٣].

* * *

مشروعية الحب في الله وهو الولاء

مشروعية الحب في الله:

الرباط الذي يقوم بين المسلمين ليس رباط دم أو عصبية قومية، وإنما هو رباط الإيمان بالله فالمؤمنين إخوة والمسلم أخو المسلم كما يقول الرسول ﷺ، والحب والكره يكونان في الله قبل كل شيء، وكل صلة تكون بسبب القرابة أو الجوار أو المعاملات فإنها تكون مقبولة عند الله ما دامت لا تتعارض مع مبدأ الحب في الله، أما إذا تعارضت مع هذا المبدأ العظيم فيجب التخلي عنها امتثالاً لقوله تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ [التوبة: ٧١]. والحب في الله يكون بين الصالحين من عباده لقوله ﷺ في رواية عن أنس رضي الله عنه: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان**» وفيه: «**أن يحب المرء لا يحبه إلا لله تعالى**» إلخ. رواه البخاري ومسلم، وعن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان**» رواه أبو داود والترمذي، وعن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله**» رواه أبو داود، وفي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**» ومنهم: «**رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**».

كيفية الموالاه:

يقول الله عز وجل: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ**

﴿أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]. والولاء محبة الله ونصرة دينه ومحبة أوليائه ونصرتهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إن تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي أن لا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله ولا يوالي إلا لله ولا يعادي إلا لله، وأن يحب ما أحبه الله ويبغض ما أبغضه الله) (١) ومعلوم أن مواصلة أهل الإيمان تكون بالموالاه والنصرة والأنس والمعاونة والجهاد والهجرة (٢).

وهكذا حرص الرسول ﷺ على تربية أمته بإبعادها عن الفخر بالأنساب وجعل الإنتماء إلى دين الله هو الإنتماء الذي يجب أن يسود، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: فاتباع سنة رسول الله واتباع شريعته باطناً وظاهراً هو موجب محبة الله كما أن الجهاد في سبيل الله وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه هو حقيقتها (٣).

وحين فقد المسلمون الموالاه فيما بينهم وابتعدوا عن مواصلة أهل الإيمان ومعاداة أهل الكفر ظهرت فيهم العقائد المنحرفة وسادت الأيدلوجيات المصطنعة وحكموا شريعة الطواغيت، كما هو حاصل اليوم في معظم البلاد الإسلامية.

والموالاة تتم للمستقيم على أمر الله وهو من تجب نصرته ومودته، أما من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فيوالي بحسب ما

---

(1) الاحتجاج بالقدر ص٦٢ ط. سنة ١٣٩٣هـ ،المكتب الإسلامي.
(2) المسائل المفيدة، للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.
(3) التحفة العراقية ص٧٦.

عنده من الإيمان ويعادي بحسب ما هو عليه من البدع والكبائر والمعاصي، قاله أكثر أهل العلم.

ويدخل في المحبة أيضاً النصرة للمسلم من أي جنس أو لون كان وفي أي أرض حل، ينصره بنفسه وماله ويذب عن عرضه بحسب قدرته، ومنها الهجرة لأنها مرتبطة بالولاء والبراء، ومن ذلك الجهاد في سبيل الله لأنه الفاصل بين الحق والباطل ومن المعلوم أن النفقة والصدقة على الأقارب الكفار مع أنه عمل مشروع فإنه ليس بموالاة فيجب الانتباه إلى ذلك.

السلام والمصافحة:

ومفتاح الحب في الله يكون بالسلام والمصافحة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**» رواه مسلم. ولحديث قتادة في صحيح البخاري، قال: قلت لأنس ﷺ أكانت المصافحة في أصحاب النبي ﷺ قال نعم ويدخل في ذلك: إخبار الرجل أخاه المؤمن أنه يحبه لحديث المقدام بن معد كرب رضي الله عنه النبي ﷺ قال: «**إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه**» رواه أبو داود والترمذي وأحمد والحاكم.

المجالسة والصحبة:

ومن الحب في الله مجالسة الصالحين وصحبتهم، قال تعالى: **﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ**

يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨]. وعن أبي موسى الأشعري ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك، ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً منتنة**» متفق عليه.

وعن أبي سعيد الخدري ﵁، عن النبي ﷺ قال: «**لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي**» رواه أبو داود والترمذي بسند صحيح. وقال الترمذي: حديث حسن.

وعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: : «**الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**» رواه أبو دواد والترمذي بسند حسن.

التزاور في الله:

ومن الحب في الله: التزاور فعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ : «**أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله تعالى له على مدرجته ملكاً فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال أريد أخاً لي في هذه القرية. قال هل لك عليه من نعمة تربها عليه؟ قال: لا غير أني أحببته في الله، قال: إني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**» رواه مسلم. وعنه ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناداه مناد بأن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنه منزلاً**» رواه الترمذي.

صفة المتحابين في الله يوم القيامة:

وفي صفة هؤلاء المتحابين في الله وبيان مكانتهم ومودهم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا**﴾ [مريم: ٩٦]. وعن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى**» قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم؟ قال: «**هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**» رواه أبو داود.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**» رواه مسلم. وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: «**المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء**» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. وعن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين في والمتزاورين في والمتجالسين في والمتباذلين في**» حديث صحيح رواه مالك في الموطأ بإسناده الصحيح.

وعكس ذلك ما جاء في صفة أهل النار الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل، قال المفسرون هي قطع صلة الرحم وقطع المواصلة

بين أهل الإيمان. ومن ذلك كله يتبين لنا أن مواصلة أهل الإيمان فيما بينهم تكون بالسلام والمصافحة والإخبار بالمحبة، وكذلك تكون بالمجالسة والصحبة والتزاور فيما بينهم مهما بعدت المسافات بينهم. جعلنا الله منهم وحشرنا في زمرتهم بفضله ومنّه ورحمته آمين. والله أعلم [١].

(1) أصول المنهج الإسلامي ص٤٤٩-٤٥٣.

المعاشرة

إذا المـــرء لا يرعـــاك إلا تكلُّفـــاً فدعه ولا تُكثر عليـــه التأسُـــفا
ففي الناس أبدال وفي الترك راحـــة وفي القلب صبر للحبيب ولو جفا
فما كل من تهـــواه يهـــواك قلبـــه ولا كلُّ من صافيته لك قد صفا
إذا لم يكن صَفو الـــوداد طبيعـــة فلا خير في وُدّ يَجـــيء تكلفـــا
ولا خيرَ في خِـــلّ يَخـــون خليلـــه ويلقاه من بعـــد المـــودة بالجفـــا
ونكرُ عَيشا قـــد تقـــادم عهـــده ويُظهر سراً كان بالأمس قد خفا
سلام الله على الدنيا إذا لم يكن بها صديق صدوق صـــادق الوعـــد

* * *

صاف الكرام فخيرُ مـــن صـــافيته من كان ذا أدب وكان ظريفًـــا
وأحـــذر مُؤاخـــاة اللئـــيم فإنـــهُ يبدي القبيح ويُنكـــرُ المعروفـــا
إن الكـــريم وإن تضعـــضع حالـــه فالخلقُ منـــه لا يـــزال شـــريفًا
والنـــاس مثـــل دراهـــم قلبتـــها فأصبت منـــها فـــضة وزيوفًـــا

* * *

ولن يصحب الإنـــسان إلا نظـــيره وإن لم يكونا من قبيل ولا بلـــد
وما الغيُّ إلا أن تُـــصاحب غاويـــاً وما الرشد إلا أن تُـــصاحب ذا
أخو الفسق لا يغررك منـــه تـــودد فكل حبـــال الفاســـقين مهـــينُ
وصاحب إذا ما كنت يومًا مصاحبًا أخا ثقة بالغيـــب منـــك أمـــينُ

* * *

اجعل قرينك من رضـيت فعالـه واحذر مُقارنة اللئـيم الـشائن
كم مـن قـرين شـائن لقرينـه ومهجـن منـه لكـل محاسـن

* * *

وعينك إن أبدت إليـك مـساوياً من الناس قل يا عينُ للناس أعينُ
وعاشر بمعـروف وكـن مُتَـوَدِّدًا ولا تلق إلا بالتي هي أحسنُ [1]

* * *

(1) جواهر الأدب ٢/٤٨٤-٤٨٥.

"فصل"

في تعريف الصديق والصداقة [(١)]

قـــالوا الـــصَديق مـــن صَـــدَقْ   في وده ومــــــا مَــــــذَقْ
وقيــــــل مــــــن لا يطعنــــــا   في قولــــــه أنـــــت أنــــا
وقيــــــل لفـــــظٌ لا يُـــــرى   معنـــــاه في هـــــذا الـــــورى
وفــــــــسروا الـــــــصداقة   الحــــبَّ حَـــسْب الطاقـــة
وقــــال مــــن قـــد اطلقـــا   هـــي الـــودادُ مُطلقـــا
والآخـــــــرون نـــــــصُّوا   بأنهـــــا أخـــــصُّ
وهــــو الـــصحيح الـــراجحُ   والحـــق فيـــه واضـــح
علامــــــةُ الــــــصديق   عنـــــد اولى التحقيـــق
محبــــة بـــــلا غَـــــرَض   والـــصدق فيهـــا مُفتَـــرضَ
وَحَـــــدُّها المعقـــــولُ   عنـــــدي مـــــا أقُـــــولُ
فهـــــي بـــــلا اشـــــتباه   محبــــــــــــة في الله

* * *

(1) ديوان أحمد بن على بن مشرَّف-رحمة الله-، طبعة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر، ص٢١٠.

"فصل"

فيمن ينبغي أن يصادق ويصافي ويصاحب ويوافي [1]

أخـــــو صـــــلاحٍ وأدب ... وذُو حـــسب ذو نـــسب
ربُّ صــــــلاح وتُقـــــى ... ينــــهاك عمـــا يُتقـــى
مـــن حيلـــةٍ وغـــدرٍ ... وبدعــــةٍ ومكــــر
مُهـــــذب الأخـــــلاق ... يطــــرب للتلاقــــي
يحفـــظ مـــا في عينيـــك ... يَـــصُون مـــا في غيبتـــك
يزينـــــه مـــا زانكـــا ... يـــشينه مـــا شـــانكا
يُظهـــر منـــك الحـــسنا ... ويــــذكر المستحـــسنا
ويكــــتم المعيبــــا ... ويحفــــظ المغيبــــا
يـــسرُّهُ مـــا ســـركا ... ولا يُـــذْيع ســـركا
إن قـــال قـــولاً صَـــدَقَك ... أو قُلـــت قـــولاً صـــدَّقَكْ
وإن شـــكوت عُـــسراً ... أفـــدت منـــه يُـــسرا
يلقـــاك بالأمـــاني ... في حـــادث الزَّمـــانِ
يُهـــدي لـــك النـــصيحة ... بنيـــةٍ صـــحيحة
خِلَّتـــه مُدانيـــة ... قـــي الـــسر والعلانيـــة
صُـــحبته لا لغَـــرض ... فـــذاك للقلـــب مـــرض
لا يَـــتَغَير إن وُلي ... عـــن الـــوداد الأول

---

(1) المصدر السابق ص٢١١.

يرعى عُهُود الصُّحبة ... لا سيما في النكبة
لا يُسْلم الصَّديقا ... إن نال يومًا ضيقًا
يُعينُ إن أمرٌ عنى ... ولا يفوه بالخنا
يُولي ولا يعتذر ... عَمَّا عليه يقدرُ
هذا هو الأخُ الثقة ... المستحق للمقه
إن ظفرت يداك ... فكد به عداك
فإنهُ السلاحُ ... والكهف والمناحُ
وقد روى الرواة ... السادةُ الثُّقاةُ
عن الإمام المرتضى ... سيف الإله المُنتضى
في الصحب والإخوان ... أنهم صنفان
إخوان صدق وثقة ... وأنفسٍ مُتفقة
هم الجناحُ واليدُ ... والكهف والمستند
والأهل والأقاربُ ... أذهم التجاربُ
فأفدهم بالروح ... في القرب والترح
واسلك بحيث سلكوا ... وابذل لهم ما تملك
فلا يروك مالكًا ... من دُونهم لمالكا
وصاف من صافهم ... وناف من نافهم
واحفظهم وصُنهم ... وانف الظنون عنهم
فهم أعزُّ في الورى ... إن عن خطب أو عرى

مـــــن احمـــــر اليـــــاقوت بـــل مـــن حـــلال القـــوت
وإخـــــــوة للأنـــــــس ونيـــــل حـــظ الـــــنفس
هُـــــم عُـــــصبة المجاملـــــه للـــــصدق في المعاملـــــه
منـــــهم تُـــــصيب لـــــذتك إذا الهمـــــوم بـــــذتك
فـــــصلهم مـــــا وصـــــلوا وابـــذل لهـــم مـــا بـــذلوا
مـــــن ظـــــاهر الـــــصداقة بالبـــــشر والطلاقـــــة
ولا تـــــسل إن ظهـــــروا للـــــود عمَّـــا أضـــمروا
وأطـــــوهم مَـــــدَّ الحِقَـــــبِ طـــــيّ الـــــسجل للكتـــــب
وقـــــال بـــــشر الحـــــافي بـــل عـــدة الأصـــناف
ثلاثـــــــــةٌ فـــــــــالأولُ للـــدين فهـــو الأفـــضلُ
وآخـــــــر للـــــــدُّنيا يهـــديك نجـــد العليـــا
وثالـــــــث للأنـــــــس لكونـــه مـــن جـــنس
فـــأعط كُـــلا مـــا يُحـــبْ وعـــن ســـواهم فاجتنـــب

* * *

"فصل"

في التحذير من صحبة الأشرار

وصـــــــحبة الأشـــــرار أعظــــــم في الإضــــــرار

مـــــن خدعـــــة الأعــــداء ومـــــن عُـــضال الـــداء

يُقبحـــــــــون الحـــــــسنا ودأبهـــــم قــــول الخنـــــا

شــــــــأنهم النميمـــــــــة والــــــشيم الذميمـــــــة

إذا أردت تـــــــــــــــــصنعُ خـــــيراً بـــــشخص منعــــوا

الغــــــل فـــــيهم والحـــــسد والــــشر حبـــل مـــن مـــسد

إن مُنعُـــــوا مــــا طلبــــوا تنمـــــــروا وكلبــــــــوا

وأعرضُـــــــوا إعراضـــــــا ومزقـــــوا الأعراضـــــــا

لـــــيس لهـــــم صـــــلاحُ حَـــــــرَامُهُم مُبـــــــاحُ

لا يَتَّقُـــــــون قُبحـــــــا ولا يعُـــــــون نُــــــصحا

يغــــــــدون بـــــــالقبيح والــــــضر والتــــــبريح

كلامُهُـــــــــم فحــــــاش وأنـــــــسهم إيحـــــاش

الخـــــــير منـــــــهم واني والــــــشر منـــــــهم داني

شـــــــيطانهم مُطـــــــاع ودينـــــــهم مُـــــــضاع

لا يرقبــــــــــــــــون إلا ولا يـــــــرون خــــــلا

إخلاصـــــــهم مُداهنـــــــة وودهــــــم مُـــــشاحنة

صــــــــلاحهم فـــــساد رواجهـــــم كــــــساد

عزيزُهم ذليل   صحيحهم عليل

ضياؤهم ظلامُ   وعُذرهم ملام

تقريبهم بعيدُ   ووعُدهم وعيد

إذا سألت ظنوا   أو منحوك منوا

وإن عدلت مالوا   وإن سألت قالوا

ربحهم خُسران   وشكرهم كُفران

وودهم خداع   وسرهم مذاع

إذغانهم لجاجُ   معينهم أُجاجُ

وليس فيهم عاري   من ادِّراع العار

البُعدُ عنهم خيرُ   والقرب منهم ضير

فاحذرهم كُل الحذر   لحالك لاحٍ أو عذر

واسمع مقال الناصح   سمع اللبيب الراجح

وقال أربابُ الحكم   العالمون بالأمم

إن شئت أن تُصاحبا   من الأنام صاحبا

فابدأه بالمشاوره   في حالة المحاوره

من حالةٍ تريدها   أو حاجة تفيدها

فإن أشار ناصحًا   بالخير كان صالحا

فَأَوْله الصداقة   ولا تخف شقاقة

فالخير فيه طبع   وأصله الفرعُ

وإن أشـــــــار مُغريــــــا　　بالـــــشر كـــان مغويًـــا

فاجتنــــــب اصـــــطحابه　　وواظـــــب اجتنابـــــه

والـــــشيم الرديَّـــــة　　أضـــحت لـــه ســجيه

هـــذا وقــد تم الرجـــز　　بعــــون ربي ونجـــز

وحاكهـــا أحكامهـــا　　أحكمتــــها إحكامـــا

كـــــدرر البحـــور　　علـــى نُحُـــور الحُـــور

والخــــتم بالـــصلاة　　علـــى زكـــي الـــذات

وبالـــسلام الـــسرمد　　علـــى الـــنبي أحمـــدِ

والآل والأصـــــحاب　　مـــع جُملـــة الأحبـــاب

مـــا غـــردت حمامـــه　　إلى يــــوم القيامـــهْ

تمت

من آثار المؤلف

١-الهدي النبوي في الطب.
٢-الفتاوى الحديثة.
٣-الدرة في سنن الفطرة.
٤-محاسن الصدق ومساوئ الكذب.
٥-إقامة الحجة بذكر أدلة وجوب إعفاء اللحية.
٦-تذكير الإخوان بأضرار الشيشة والدخان.
٧-الجليس الصالح.
٨-تذكير الخلق بمعرفة الخالق سبحانه وتعالى.
٩-إرشادات وفتاوى يحتاج إليها الصائم.
١٠-رسالة إلى السجناء.
١١-رسالة أخوية إلى أصحاب المحلات التجارية.
١٢-توجيهات في كلمات.
١٣-إتحاف الورى بفوائد التقوى.
١٤-إتحاف الورى بما جاء في فصل الصيف والشتاء.
١٥-الإتحافات في فوائد الصلاة.
١٦-رسالة إلى أئمة المساجد وخطباء الجوامع.
١٧-الرؤيا وما يتعلق بها.
١٨-توجيهات في كلمات.
١٩-الدعوات المستجابة.
٢٠-الأخبار بأسباب نزول الأمطار.

مراجع رسالة الجليس الصالح

١-أصلاح المجتمع للشيخ محمد بن سالم البيحاني.

٢-بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار بشرح جوامع الأخبار، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي.

٣-أحاديث الجمعة للشيخ عبدالله بن حسن القاعود،ج١.

٤-روح الدين الإسلامي، لعفيف طبارة.

٥-فتح الخلاق بمحاسن الأخلاق، تأليف أحمد سعيد الدجوي.

٦-أصول المنهج الإسلامي، للشيخ عبدالرحمن بن عبدالكريم العبيِّد.

٧-الخطب المنبرية في المناسبات العصرية،للدكتور صالح الفوزان.

٨-مقومات الثبات على الهداية، للشيخ محمد الصالح الدحيم.

٩-بهجة الناظرين فيما يصلح الدنيا والدين، للمؤلف.

١٠-جواهر الأدب، تأليف أحمد الهاشمي.

١١-ديوان الشيخ أحمد بن علي بن مشرَّف، طبعة إحياء علوم التراث الإسلامي بدولة قطر.

الفهرس